جامعة الأزهر
كلية البنات الإسلامية
بأسيوط

المجلة العلمية

من ضوابط فهم النص القرآني

[التأكد من ثبوت النص ، وفهمه وفق فهم
السلف الصالح –رحمهم الله – مع مراعاة أحوال
المخاطبين فى فهمه]

إعـداد

دكتور / حسين عبد العال حسين محمد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك في جامعتي الأزهر والإمام
كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية في أسيوط
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الأحساء

قال تعالى :

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

صدق الله العظيم

بعض الآية (٣٢) من سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا.

إن نعم الله ﷻ على عباده كثيرة، ومن أعظم النعم التي امتَنَّ الله بها على هذه الأمة أن خصها بهذا الكتاب، الذي هو أفضل الكتب وأتمها وأكملها، المتضمن كلام الله عز وجل ﴿لاَ يَا تِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت : ٤٢] .

وقد امتَنَّ الله ﷻ على هذه الأمة بجعل القرآن الكريم المصدر الأول لتشريعها ودينها ، وقد وَكَلَ الله ﷻ حفظ الكتب السماوية السابقة إلى أهلها فضيعوها، وزادوا فيها، ونقصوا، وحرفوا كلام الله، وتجرأوا على كلام رسله، وإن أعظم هذه الملل اليهود والنصارى قد حُرِّفَتْ كتبهم في وقت مبكر من ذهاب أنبيائهم، أما هذه الأمة فقد تكفل الله بنفسه حفظ دستورها فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون } [الحجر : ٩] .

لذا ظلت الأمة من زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا تتناقل كلام الله دون أي زيادة أو نقصان، ولو أراد إنسان في شرق الأرض، أو في غربها أن يزيد حركة إعراب بأن يخفض منصوبا أو ينصب مخفوضا، لصاح به المسلمون في أصقاع

المعمورة، وقد حدث هذا في العصور الأولى لما تجرأ بعض الجهمية[1] وقرأ قول الله ﷻ { وَكَلَّمَ اللَّـهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا } [النساء : ١٦٤] بنصب لفظ الجلالة، ليجعل موسى المتكلمَ والله هو السامعُ، وليس بمتكلم، لينفي عن الله صفة الكلام، فصاح به المسلمون وما خُدِعُوا هذه الخديعة [2]، فكتاب الله ﷻ محفوظ في السطور والصدور، تتناقله الأمة كابرًا عن كابر مشافهة وكتابة، وهذه من أعظم الميزات لهذه الأمة.

إن الله ﷻ حفظ لنا القرآن الكريم من التبديل والتغيير، والزيادة والنقصان ، لكن المشكلات وقعت من أهل الضلال والانحراف وأهل الأهواء والبدع، إذ حَرَّفوا في دلالات نصوص الوحي، وحَمَلُوا كلام الله غير معناه الصحيح، فحرفوا الكلم عن مواضعه.

فأهل الضلال والبدع قديما وحديثا حَمَلُوا كلام الله على غير معناه الصحيح ، وإن كانت بعض هذه الفرق التي ظهرت في صدر الإسلام اندثرت في هذه العصور المتأخرة بأسمائها لكنها بقيت بمضمونها ومعتقداتها، فظهر في هذه العصور المتأخرة من تَطَاولَ على كلام الله ، وبدأ يستشهد على ضلالاته التي

(١) الجهمية : فرقة من فرق المسلمين تنتسب إلى مؤسسها الجهم بن صفوان وقد اهتمت هذه الفرقة أولا في البحث في الأصول ، ثم توسعت بعد ذلك كسائر الفرق التي استفحل أمرها وكثر رجالها ، من مبادئهم : نفي الأسماء والصفات التي يمكن إطلاقها على المخلوق ، والقول بخلق القرآن ، ونفي الرؤية والقول بأن العبد مجبور على أعماله ، والقول بفناء الجنة والنار . ينظر موقف ابن القيم من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والصوفية . د عواد عبدالله محمد المعتق ص : ٤٨

(٢) ينظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله بن محمد الغنيمان : ١ / ٣٨٠

ينشرها بين الناس بأدلة من القرآن الكريم ، لكن هل هذا الاستدلال في مكانه؟ الجواب: لا، ولكنه أراد أن يُلَبِّسَ على عامة الناس، فوقع بعض العامة في شيء من الريبة والتردد وانطلت هذه الضلالة على بعض الجهال.

ليس كل من استدل بآيات من القرآن الكريم يُعْتَبَرُ مُحِقًّا، إنما المحق الذي يستدل بالنص في مكانه، وبمعناه الصحيح، وبمراد الله – تعالى– فإذا استدل الإنسان بكلام الله على غير مراده فهذا من أعظم الفرية، ومن أعظم الجرم، لأن هذا افتراء على الله ﷻ يُحَمِّلُ كلام الله ما لا يحتمل ، ولهذا لابد من ضوابط وقواعد يُضْبَطُ به الاستدلال بنصوص القرآن الكريم، لنعرف الحق من الباطل، ولنفرق بين المحق والمبطل ، ومن الضوابط المهمة في فهم النص القرآني :

[التأكد من ثبوت النص ، وفهمه وفق فهم السلف الصالح –رحمهم الله –

مع مراعاة أحوال المخاطبين في فهمه]

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي الوصفي ، واقتضت خطة البحث أن يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع :

المقدمة : وفيها بيان السبب في اختيار الموضوع وأهميته والخطة التي سوف أسير عليها فيه .

التمهيد : وفيه إلقاء الضوء على ضوابط فهم النص القرآني بوجه عام .

المبحث الأول : إمكانية التأكد من ثبوت النص القرآني .

المبحث الثاني : فهم النص القرآني وفق فهم السلف الصالح رحمهم الله .

المبحث الثالث : مراعاة أحوال المخاطبين في فهم النص القرآني .

الخاتمة : وفيها أذكر أهم النتائج والحقائق والتوصيات التي توصلت إليها .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليما كثيرا ..

التمهيد

إلقاء الضوء على ضوابط فهم النص القرآني بوجه عام

قبل الحديث عن ضوابط فهم النص القرآني بوجه عام ، رأيت أنه من الضروري أن أقف عند معنى الضابط ، والنص ، والقرآن في اللغة والاصطلاح :

الضابط لغة : اسم فاعل من ضَبَطَ، والضبط لزوم الشيء وحسبه، وضَبْطُ الشيء حفظه بالحزم، والرجل ضابط أي حازم [(١)] .

وأما في الاصطلاح : فيمكن تعريفه بأنه حكم أغلبي يتعرف منه أحكام الجزئيات الفقهية المتعلقة بباب واحد من أبواب الفقه مباشرة [(٢)] ومن خلال المعنى اللغوي يتضح أن الضابط يضبط الأشياء التي تندرج تحته من الأحكام وغيرها ولا يتفلت عنه شيء قد دخل فيها [(٣)] .

والنص لغة : جاء في لسان العرب في مادة: نصص: النَّصُّ: رفْعُك الشيء. نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً: رَفَعَه. وكل ما أُظْهِرَ، فقد نُصَّ [(٤)] ويحدد أ د.محمد عمارة المعنى اللغوي العام للنص، فيقول: "إن النص من حيث اللغة إنما يشتمل مطلق الملفوظ والمكتوب، فكل عبارة مأثورة أو مُنشأة هي نص." [(٥)]

---

(١) لسان العرب مادة : (ض .ب .ط) والصحاح : ١١٣٩/٣

(٢) القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير لعبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف : ١ / ٤٠

(٣) مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية العدد الحادي عشر : ١٩٠/٣ سنة النشر ٢٠١١م

(٤) لسان العرب مادة : (ن .ص .ص) ٤٤٤١/٢

(٥) النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية د. محمد عمارة ص : ٣٣

والنص عند الأصوليين : الكتاب والسنه، النص من الشيء والنص: صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف. والنص: ما لا يحتمل إلا معنى واحدا، أو لا يحتمل التأويل منتهاه ومبلغ أقصاه. يقال بلغ الشيء نصه، وبلغنا من الأمر نصه: شدته [١] .

وعرفه جلال الدين المحلي بأنه : ما لا يحتمل إلا معنى واحداً كزيد في رأيت زيداً. وقيل : ما تأويله تنزيله نحو {فصيام ثلاثة أيام } [فصلت : ٤٢] فإنه بمجرد ما ينزل يفهم معناه. [٢] وعرفه الإمام الشافعي بأنه ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه فلم يحتج مع التنزيل فيه إلى غيره ، فالنص لا يحتمل إلا معنى واحدا [٣] وعرفه الإمام الجرجاني بأنه : " ما لا يحتمل إلا معنى واحدا ، قيل : ما لا يحتمل التأويل " [٤] .

وَأَمَّا معنى الْقُرْآنُ في اللغة : فَاخْتُلِفَ فِيهِ فَقَالَ جَمَاعَةٌ: هُوَ اسْمُ عَلَمٍ غَيْرُ مُشْتَقٍّ خَاصٌّ بِكَلَامِ اللَّهِ فَهُوَ غَيْرُ مَهْمُوزٍ وَبِهِ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ الشَّافِعِيِّ ، وَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمُ الْأَشْعَرِيُّ: هُوَ مُشْتَقٌّ مَنْ قَرَنْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ إذَا ضَمَمْتَ أَحَدَهُمَا إلَى الْآخَرِ وَسُمِّيَ بِهِ لِقِرَانِ السُّوَرِ وَالْآيَاتِ وَالْحُرُوفِ فِيهِ، وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمُ الزَّجَّاجُ: هُوَ وَصْفٌ عَلَى فُعْلَانٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الْقَرْءِ بِمَعْنَى الْجَمْعِ

(١) المعجم الوسيط : ٢ / ٩٢٦

(٢) شرح الورقات في أصول الفقه لجلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي : ١ / ١٤٦

(٣) الرسالة للإمام الشافعي : ٣٢/١

(٤) التعريفات للإمام علي بن محمد الشريف الجرجاني : ص ٣٦٠

وَمِنْـهُ قَرَأْتُ الْمَـاءَ فِـي الْحَوْضِ أَيْ جَمَعْتُـهُ ، قَـالَ أَبُـو عُبَيْدَةَ: وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لْأَنَّـهُ جَمَعَ السُّوَرِ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ [(١)] .

ومعناه في الاصطلاح : عرفه الشيخ الصابوني بأنه : " كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس " [(٢)] وذكر الشيخ الزرقاني تعريفا وسطا له فقال : هو اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته [(٣)] .

تعريف ضابط فهم معني قرآني : هو فكرة أو مجموعة أفكار أو معطى أو عدد من المعطيات المتجانسة كانت قد استقرت مسبقا في ذهن شخص ما أو مجموعة من الأشخاص ، ويؤثر هذا الضابط تأثيرا مباشرا علي فهم هذا الشخص (الأشخاص) لمعني لفظ أو الفاظ آية أو مجموعة آيات قرآنية.[(٤)]

إن معرفة الضوابط الشرعية لفهم القرآن الكريم موضوع له أهميته ومكانته، لأنه إذا علم المسلم حقا أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع فلا شرع إلا ما دل عليه كتاب الله ، فكتاب الله العزيز الذي { لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت : ٤٢] المحفوظة ألفاظه، مصون

(١) الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي : ١/ ١٨١ ، ١٨٢

(٢) التبيان في علوم القرآن للشيخ محمد علي الصابوني : ص ٨

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني : ١ / ٢٠

(٤) ضوابط فهم القرآن أد . أحمد عمر سعد الموقع الإلكتروني :
https://sunnijurisprudence.wordpress.com/

عن التحريف والتبديل، لا تستطيع أيدي العابثين أن تزيد أو تنقص منه، رغم مرور القرون الكثيرة والأعداء متكاثرون ، إلا أن الله حفظ هذا القرآن أن يغيروا أو يزيدوا فيه ما ليس منه ، فهو محفوظ في المصاحف وفي صدور الرجال .

والكتب السابقة وَكَلَ الحفظ إليهم، قال الله فيها: ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّـهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء ﴾ [المائدة : ٤٤]، فعجزوا عن ذلك ولم يقوموا بواجبه، وحُرِّفَتِ الكتب وبُدِّلَت وغُيِّرَت، أما كتاب الله فتولى الله حفظه بنفسه، فلم يستطع أعداؤه لا في وقت نزول الوحي ولا بعده أن يحرفوه، قال الله تعالى متحديا إياهم بآية: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ} [الطور : ٣٤] وقال تعالى: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ} [يونس : ٣٨]، وقال تعالى: { بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ} [هود : ١٣] ثم قال ﷻ {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء : ٨٨] وقد جاء القرآن الكريم في غاية الوضوح والبيان، لا إشكال ولا غموض ولا تعقيد، أمور واضحة يفهمها الإنسان، لا سيما في أصول الدين وأساس الشريعة

إن ضوابط فهم القرآن أن تفهمه على ظاهره، كما فهمه سلف الأمة ،وإن كان في الأحاديث النبوية ما يفسر الآيات فهو أولى من غيره، ثم تفسير الصحابة، والتابعين، وتابعيهم بإحسان، هؤلاء أقرب الناس لفهم القرآن، فالصحابة شهدوا التنزيل وحضروه، والتابعون شهدوا قوما شهدوا التنزيل، وهكذا من بعدهم، فهؤلاء توارثوا العلم وأخذوه على الحقيقة ، وقد وضع أهل العلم بعض القواعد والضوابط لفهم القرآن الكريم ويمكن إلقاء الضوء عليها إجمالا فيما يلي :

الأول: التسليم المطلق لكلام الله، وكلام رسوله ﷺ قال تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِم }[الأحزاب: ٣٦] فينبغي أن يُسَلَّمَ الأمر لله ﷻ ولرسوله ﷺ في أي أمر من الأمور، ليس

للإنسان حرية الاختيار أن يفعل أو لا يفعل قال سبحانه : { مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه } [النساء : ٨٠] وقال سبحانه: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم} [النور : ٦٣] وقال تعالى: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُم } [سورة الأنفال : الآية ٢٤] يقول شيخ الإسلام –رحمه الله–: "وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ مَوْضِعًا مِنْ الْقُرْآنِ، وَقَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ، وَقَرَنَ بَيْنَ مُخَالَفَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ، كَمَا قَرَنَ بَيْنَ اسْمِهِ وَاسْمِهِ»[(١)] ويقول الشافعي فيما نقله عنه الإمام السيوطي –رحمه الله–: "وَلَا أعلم من الصَّحَابَة وَلَا التَّابِعين أحدًا أخبر عَن رَسُول الله ﷺ إِلَّا قُبِلَ خَبره وانْتهى إِلَيْهِ وَأثبت ذَلِك سنة»[(٢)] .

الثاني: الاعتقاد باشتمال نصوص الكتاب والسنة على الدين كله: أي نعتقد اعتقادًا جازمًا أن الدين بأصوله وفروعه جاء في هذين الوحيين، مشتملا على جميع فروع الشريعة، قال الله –عز وجل: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ}[الأنعام : ٣٨] وقال سبحانه { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ} [النحل : ٨٩] وقال النبي ﷺ « وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ »[(٣)] فلا مجال للاجتهاد ولا مجال للعقول ولا مجال للأقيسة ولا مجال للترجيحات من المسائل مع النص من الكتاب أو السنة.

---

(١) مجموع الفتاوى لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني : ١٩/ ١٠٣

(٢) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: ص ٣٤

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الحج باب حج النبي ﷺ : ٨٨٦/٢ حديث رقم (١٢١٨)

الثالث: أن القرآن حفظه الله ﷻ وتكفل بحفظه ، حُفِظَ لفظا ومعنى: ولا أدل على ذلك من قوله تعالى : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون } [الحجر:٩] .

الرابع: العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه: نحن نعلم أن كتاب الله ﷻ منه المحكم ومنه المتشابه، يقول –سبحانه– في سورة آل عمران: { هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ} [آل عمران : ٧] فكتاب الله فيه المتشابه وفيه المحكم، فيجب الإيمان بالمتشابه والعمل بالمحكم، ورَدُّ المتشابه إلى المحكم، هذا هو منهج أهل السنة .

الخامس: عدم معارضة النص بالعقل: إن معارضة النص بالعقل من أعظم أسباب تفرق الأمة وظهور أهل البدع والضلال، لأن أصحاب هذا المنهج عارضوا نصوص الوحيين بعقولهم، وقد أمرنا الله ﷻ بالتسليم المطلق لهذه النصوص، وعدم مقابلة هذه النصوص بأذواقنا، ولا بعقولنا، ولا باجتهاداتنا.

السادس: عدم معارضة السنة بالقرآن: معناه ألا نعارض كلام الرسول ﷺ بكلام الله ﷻ فكلام النبي ﷺ إنما هو تبيان وإيضاح وتفسير لكلام الله ﷻ قال تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}[النجم : ٣-٤] لذا قال النبي ﷺ «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ»(١) .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنة باب في لزوم السنة : ٧ /١٣ حديث رقم (٤٦٠٤) وقال عنه المحققان شعَيب الأرنؤوط و محَمَّد كامِل قره بللي: حديث صحيح ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته : ١ / ٥١٦ حديث رقم (٢٦٤٤)

السابع: الأخذ بجميع النصوص دون الاقتصار على بعض دون بعض: منهج أهل السنة والجماعة الأخذ بجميع النصوص، فأهل السنة يَرْوُون مالهم وما عليهم، أما أهل البدع فإنهم يأخذون من النصوص ما يؤيد بدعتهم بزعمهم ويَدَعُون ما يخالف بدعتهم، وهذا هو الذي يوقع الإنسان في الضلالة والانحراف، ولهذا أمرنا الله ﷻ بالرجوع إلى أهل العلم، لأنهم الأقدر والأجدر بالنظر في جميع النصوص، لأن من النصوص نصوص عامة ونصوص خاصة، ومطلق ومقيد، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، ولا يُعْرَف هذا إلا من أهل العلم ، فلابد من الأخذ بجميع النصوص وألا نقتصر على جانب واحد من جوانب النصوص .

الثامن : معرفة اللغة العربية: هذا ضابط مهم لأن نصوص القرآن الكريم نزلت باللغة العربية، ولا يمكن أن يُفْهم النص إلا بهذه اللغة، وعندما انتشرت العجمة واختلط اللسان العربي بغيره ألف العلماء في معاجم اللغة وفي ألفاظ القرآن بما يحفظها، قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "يَحْتَاجُ الْمُسْلِمُونَ إلَى شَيْئَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَعْرِفَةُ مَا أَرَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِأَلْفَاظِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بِأَنْ يَعْرِفُوا لُغَةَ الْقُرْآنِ الَّتِي بِهَا نَزَلَ، وَمَا قَالَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَسَائِرُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَانِي تِلْكَ الْأَلْفَاظِ، فَإِنَّ الرَّسُولَ لَمَّا خَاطَبَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَرَّفَهُمْ مَا أَرَادَ بِتِلْكَ الْأَلْفَاظِ"[1] .

التاسع : الاهتمام بالنظر في مقاصد السور القرآنية ومحاورها : فقد جاءت النصوص القرآنية سورا وآيات كريمة لتحقيق مقاصد معينة في تربية النفس

(١) مجموع الفتاوى : ١٧/٣٥٣

الإنسانية وتزكيتها والارتقاء بها لتحقيق مهمة الاستخلاف العظمى على الأرض وما يستتبع ذلك كله في مسار الوجود الإنساني ، والعلم بمقاصد السور شأنه شأن جميع العلوم (١) .

العاشر: معرفة أسباب النزول: إن معرفة أسباب النزول خير معين على فهم النص، ليعرف الإنسان ظروف نزول هذا النص، ومعناه الصحيح، والمراد الذي أراده الله ورسوله منه.

الحادي عشر: معرفة الخاص من العام والمطلق من المقيد.

الثاني عشر: فهم بعض النصوص في ضوء النصوص الأخرى: فما أجمل في موضع فقد بسط في موضع آخر.

هذه بعض الضوابط التي ينبغي مراعاتها في فهم نصوص القرآن الكريم على وجه الإجمال ، يضاف إلي ما سبق ضابط آخر في غاية الأهمية وهو : [التأكد من ثبوت النص ، وفهمه وفق فهم السلف الصالح –رحمهم الله – مع مراعاة أحوال المخاطبين في فهمه] .

ونظرا لأهمية هذا الضابط في فهم القرآن الكريم رأيت أن ينصب الحديث عليه في ثنايا هذا البحث ، أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يرزقنا التمسك بكتابه وبسنة نبيه ﷺ ، وأن يرزقنا الفقه في دينه، وأن يهدينا صراطه المستقيم .

---

(١) قراءة في ضوابط التأويل وأبعادها المنهجية في الدراسات القرآنية المعاصرة د/ رقية طه جابر العلواني ص ١٥ ، ١٦

المبحث الأول

إمكانية التأكد من ثبوت النص القرآني

لم يعرف التاريخ في عمره الطويل كتابا أحيط بسياجات من العناية والرعاية مثل ما عرف ذلك للقرآن الكريم، ولا كتابا ثبت في جملته وتفصيله بالتواتر المفيد للقطع واليقين مثل ما عرف ذلك للقرآن الكريم، ولا كتابا أوجب الله حفظه على الأمة كلها غير القرآن الكريم، ولا كتابا سلم من التحريف والتبديل غير القرآن الكريم.

وقد احتاط النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ، والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لهذا الكتاب غاية الاحتياط، فلم يكتفوا بحفظه في الصدور، وعلى صفحات القلوب فحسب ، وإنما جمعوا إلى الحفظ الكتابة في الرقاع، والعُسب، والأكتاف، واللخاف[1] ونحوها، ثم في الصحف ثم في المصاحف ، وبذلك اجتمع للقرآن الوجودان: الوجود في الأذهان والصدور، والوجود في الكتابة والسطور.

ولم يكن المعول عليه في حفظ القرآن وتلقيه الأخذ من الرقاع، والصحف، والمصاحف، وإنما كان المعول عليه الأول التلقي الشفاهي، والأخذ بالسماع، فالنبي ﷺ أخذ عن أمين الوحي جبريل عليه السلام ، وعن النبي ﷺ أخذ الكثير من

(١) الرقاع : جمع رُقْعة، وهي التي يكتب فيها، وتكون من جلد أو كاغد. ينظر السان العرب مادة (ر. ق .ع) (١٧٠٥/٣) والأكتاف : جمع كَتِف، وهو عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدوابِّ، كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم ينظر النهاية في غريب الحديث (١٥٠/٤) والعسب : جمع عسيب ، وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص، ويكتبون في الطرف العريض ينظر النهاية في غريب الحديث (٢٣٤/٣)، ولسان العرب مادة (ع . س . ب) (٢٩٣٦/٤) واللخاف : جَمْع لَخْفَة وهي حِجارةٌ بِيضٌ رِقاق ينظر النهاية في غريب الحديث (٤٦٥/٤)

الصحابة النجباء، العدول، الضابطين الأمناء، وعن الصحابة أخذ الألوف من التابعين الفضلاء، وهكذا نقله العدد الكثير، عن العدد الكثير، حتى وصل إلينا كما أنزله الله من غير زيادة، ولا نقصان، ولا تغيير، ولا تحريف مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون }[الحجر : ٩] وقد كان من أسباب توثيق النص القرآني، حفظ النبي ﷺ للقرآن، وحفظ الصحابة له.(١)

إن ثبوت صحة ما في أيدينا من نسخ القرآن الكريم ثبت بأدلة كثيرة متوافرة لا يقع عليها عاقل منصف إلا ويقطع أنه هو كما أنزله الله على قلب نبيه محمد ﷺ وقد تعاقبت الأجيال جيلا بعد جيل تتلو كتاب الله تعالى وتتدارسه بينهم ، فيحفظونه ويكتبونه ، لا يغيب عنهم حرف ، ولا يستطيع أحد تغيير حركة حرف منه ، ولم تكن الكتابة إلا وسيلة من وسائل حفظه ، وإلا فإن الأصل أن القرآن في صدورهم .

وكما نقل إلينا القرآن الكريم ، نقل كذلك تفسير آياته ، ومعاني كلماته ، وأسباب نزوله ، وإعراب كلماته ، وشرح أحكامه ، فأنَّى لمثل هذه الرعاية لهذا الكتاب أن تتطرق إليه أيدي آثمة تحرِّف فيه حرفاً ، أو تزيد كلمة ، أو تسقط آية ؟ .

وقد تحدَّث القرآن عن أشياء غيبية مستقبلية ، أنزلها الله على رسوله محمد ﷺ ، ليبيِّن أنه من عند الله ، وأن البشر لو أرادوا كتابة كتاب فإنهم قد يبدعون في تصوير حادث ، أو نقل موقف ، لكن أن يتحدث أحدهم عن أمر غيبي فليس له في هذا المجال إلا الخرص والكذب ، وأما القرآن فإنه أخبر عن

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم للشيخ محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة : ٣٨٦/١

هزيمة الروم من قِبَل الفُرْس ، وليس هناك وسائل اتصال تنقل لهم هذا الحدث ، وأخبر في الآيات نفسها أنهم سَيَغْلِبون فيما بعد في مدة معينة ، ولو أن ذلك لم يكن لكان للكفار أعظم مجال للطعن في القرآن الكريم قال تعالى : { الم • غُلِبَتِ الرُّومُ • فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ • فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ • بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ } [الروم : ١ـ ٧] .

وقد اتفق العلماء على قطعية التطابق بين النص القرآني المتداول والوحي الذي نزل على الرسول ﷺ ، ولنا عدة وقفات تبين ثبوت النص القرآني ومطابقته مع الوحي الذي نزل على محمد ﷺ ومدى سلامة الطريقة التي وصلنا بها هذا النص، الأمر الذي يجعله في منجاة عن التحريف والتشويه .

الوقفة الأولى : حفظ القرآن الكريم في السماء وفي الأرض .

لقد حظي كتاب الله ﷻ بالحفظ والعناية منذ أن كان في السماء حيث أودعه الله كتابا مكنونا وأقسم الله تعالى على هذه الحقيقة بقسم عظيم فقال : { فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ • وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ • إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ • فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ • لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ • تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الواقعة: ٧٥ـ ٨٠] .

وقال ﷻ { فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ • مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ • بِأَيْدِي سَفَرَةٍ • كِرَامٍ بَرَرَةٍ } عبس : ١٣ـ ١٦] فهو في اللوح المحفوظ ، مصون مستور عن الأعين ، لا يطلع عليه إلاّ الملائكة المقربون ، ولا يمسه في السماء إلاّ الملائكة الأطهار ،

ولا يصل إليه شيطان ، ولا يُنال منه [1] فالشياطين لا تمس هذا الكتاب ، وليس لها سبيل إليه ، وإنما تحف به الملائكة المقربون ، ويؤكد الله تعالى وصفه بكونه مكنونا بوصفه بكونه محفوظا في قوله تعالى { بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ • فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ } [البروج : ٢١، ٢٢] .

لقد حفظ الله عز وجل القرآن الكريم وهو في طريقه إلى الأرض فجاء به روح مطهر ، فما للأرواح الخبيثة عليه سبيل ، ولا وصول لها إليه ، قال تعالى { وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ • وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ } [الشعراء : ٢١٠، ٢١١] وإنما تناله الأرواح المطهرة وهم الملائكة [2] وحَفِظَه من الشياطين التي كانت تسترق السمع طلبا لخبر السماء ، فحفِظه بالحرس الأقوياء من الملائكة ، وبالشهب التي تحرق وتمنع من أراد استراق السمع . قال تعالى { وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا • وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا • وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } [الجن: ٨- ١٠] وقال ﷻ { وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ • لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ • دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ • إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ } [الصافات : ٧- ١٠] تأكد مما سبق حفظ الله تعالى للقرآن الكريم وهو في السماء ، وعند نزوله منها، وبعد نزوله إلى الأرض .

الوقفة الثانية : حفظ القرآن الكريم بواسطة رسول الله ﷺ .

---

(١) انظر الضوء المنير على التفسير لابن قيم الجوزية ٥ : ٥٨٧ .

(٢) المرجع السابق : ٥ : ٥٨٦ .

حفظ الله عز وجل القرآن الكريم على الأرض بواسطة رسول الله ﷺ الذي استقبله فأحسن الاستقبال ، وحفظه أتم حفظ ، وقام به خير قيام ، وبلغه أحسن تبليغ والشواهد على ذلك كثيرة منها :

١- قوله تعالى { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ • إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ • فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ • ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } [القيامة : ١٦ – ١٩]. فكان ﷺ حين نزول القرآن عليه يتعجل ويبادر بأخذه ، واختلف في سبب ذلك .

* فقيل : لما يجده من المشقة عند النزول ، فيتعجل لتزول المشقة سريعا.

* وقيل خشية منه ﷺ أن ينساه ، أو يتفلت منه شيء .

* وقيل : لأجل أن يتذكره .

* وقيل : من حبه إياه .

قال الحافظ ابن حجر – بعد ذكر هذه الأسباب – "ولا بُعد في تعدد السبب"[(١)] ومما ورد في تفسير هذه الآيات ما أخرجه البخاري وغيره عن موسى بن أبي عائشة أنه سأل سعيد بن جبير عن قوله تعالى { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ } قال : وقال ابن عباس : "كان يحرك شفتيه إذا أُنْزِل عليه ، فقيل له: { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ } يَخْشى أن يَتفَلَّتَ منه { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } أن نجمعه في صدرك { وَقُرْآنَهُ } أن تَقْرأَهُ { فَإِذَا قَرَأْنَاهُ } يقول : أُنْزِل عليه {فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ • ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } أن نُبيِّنه على لسانك" [(٢)] وأخرج البخاريأيضا عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني : ٦٨٢/٨

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب (إن علينا جمعه وقرآنه) : ١٦٣/٦ حديث رقم (٤٩٢٨)

لِتَعْجَلَ بِهِ } قال : "كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي ، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه ، فيشتد عليه ، وكان يُعْرفُ منه فأنزل الله الآية التي في { لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } : { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ }{ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } قال : علينا أن نَجْمعَهُ في صدرك وقرآنه { فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ } فإذا أنزلناه فاستمع { ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } علينا أن نبينه على لسانك "(١) .

إذن تدل هذه الآيات على تكفل الله المطلق لهذا القرآن : وحيا ، وحفظا، وجمعا ، وبيانا ، وأن على الرسول ﷺ التلقي والاتباع ثم البلاغ ، فكان كلما نزلت عليه آية أو آيات جمعها الله له في صدره، فوعاها قلبه ، واشتغل بها لسانه لنفسه وللمسلمين .

٢- قوله تعالى { سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى } [الأعلى : ٦] حيث تكفل الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ برفع مشقة استظهار القرآن وحفظ قلبه له فلا ينسى ما يقرئه ربه .

٣- حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن الكريم ومدارسته في كل أوقاته ، فكان يحيي الليل بتلاوة آيات القرآن في الصلاة عبادةً ، وتلاوةً ، وتدبرا لمعانيه ، حتى تفطرت قدماه الشريفتان من كثرة القيام امتثالا لأمر الله تعالى القائل {يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ • قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا • نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا • أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا } [المزمل :١ – ٤] .

٤- مدارسة جبريل عليه السلام القرآن للرسول ﷺ ومع تكفل الله ﷻ للنبي ﷺ بحفظه وجمعه في صدره حتى لا يضيع منه شيء ، فإن جبريل عليه السلام لم يكتف بتبليغ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ بابُ [إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ] [القيامة: ١٧] : ٦ / ١٦٣ حديث رقم (٤٩٢٨)

الرسول ﷺ القرآن ، بل كان يقرأه النبي ﷺ على جبريل عليه السلام في كل عام مرة حتى يزداد ثبات قلب النبي ﷺ به ، وليطمئن جبريل عليه السلام أكثر على ما بلغه به . أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان النبي ﷺ أجودَ الناس بالخير ، وأجود ما يكون في شهر رمضان ؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ ، يَعْرِضُ عليه رسولُ الله ﷺ القرآنَ ، فإذا لقيه جبريلُ كان أجودَ بالخير من الريح المرسلة » (١) .

وعندما دنا أجل النبي ﷺ عارضه جبريل بالقرآن مرتين فقد ورد في صحيح البخاري عن فاطمة رضي الله عنها قالت : « أسَرّ إليَّ النبيُّ ﷺ أن جبريل يعارضُني بالقرآن كلَّ سنة ، وأنَّه عارضني العام مرتين ، ولا أُراهُ إلاّ حضر أجلي » . (٢)

٥- تعليم النبي ﷺ القرآن بنفسه : فقد باشر النبي ﷺ تعليم المسلمين القرآن بنفسه ، وأمره الله عز وجل بأن يقرأه على الناس على مكث ، أي : تؤدَة وتمهل ، كي يحفظوا لفظه ويفقهوا معناه . كما قال تعالى { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا } [الإسراء : ١٠٦] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن ، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ : ١٨٦/٦ حديث رقم (٤٩٩٧)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن ، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ : ١٨٦/٦

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال : "والله لقد أَخذتُ من في رسولِ الله ﷺ بضعا وسبعين سورة". (١)

وأخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال « كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُنا التشهد كما يُعَلِّمنا السورة من القرآن » (٢) وغير ذلك من الأحاديث

وكان الصحابة رضوان الله عليهم إذا عجز أحدهم عن تفريغ وقت لتحصيل القرآن الكريم مباشرة من فم رسول الله ﷺ أناب عنه من يحصل عنه ، أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد – وهي من عوالي المدينة – وكنا نتناوبُ النزولَ على رسول الله ﷺ ينزل يوما وأنزل يوما ، فإذا نزلتُ جئتهُ بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعلَ مثل ذلك. (٣) وكان نتيجة ذلك أن كثر الحفاظ في عهد رسول الله ﷺ ، وكانوا يعرضون عليه القرآن ويقرؤونه عليه ، عن ابن مسعود ﷺ عنه قال : قال لي النبي ﷺ : "اقرأ عليّ ، قلتُ : اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : فإني أحب أن اسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت { فَكَيْفَ إِذَا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ١٨٦/٦ حديث رقم (٥٠٠٠)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة ، باب التشهد في الصلاة : ٣٠٢/١ حديث رقم (٤٠٣)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم ، باب التناوب في العلم : ٢٩/١/ حديث رقم (٨٩)

جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } [النساء : ٤١] قال : أمسك ، فإذا عيناه تذرفان » [(١)] .

وخير دليل على كثرة الحفاظ في زمن الرسول ﷺ أنه قتل منهم في بئر معونة [(٢)] المعروفة بـ "سرية القراء" سبعون رجلا ، كما قتل منهم يوم اليمامة في عهد أبي بكر الصديق ﷺ سبعون قارئا .[(٣)] وذكر أبو عبيد في كتابه "القراءات" عددا كبيرا من القراء أصحاب النبي ﷺ ، فذكر كثيرا من المهاجرين ، وكثيرا من الأنصار ، وبعض أزواج النبي ﷺ[(٤)] ويتبين من ذلك أن الله عز وجل حفظ القرآن على الأرض بواسطة رسول الله ﷺ ، ثم أصحابه رضوان الله عليهم والتابعين وكافة المؤمنين بعد ذلك ، وبهذا يتبين لنا حفظ الله تعالى لوحيه في السماء وفي الأرض وبواسطة رسول الله ﷺ وصحابته الكرام .

المبحث الثاني

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) : ٤٥/٦ حديث رقم (٤٥٨٣)

(٢) بئر معونة : موضع في بلاد هذيل بين مكة وعسفان ، وتعرف هذه الموقعة بـ (سرية القراء) وكانت بين رِعْل وذكوان ، ووقعت بعد أحد مباشرة أي في حدود سنة ٤هـ . انظر خبرها في صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير ، باب العون بالمدد : ٧٣/٤ حديث رقم ٣٠٦٤

(٣) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لمحمد بن حبان بن التميمي الدارمي :٤٤٠/٢

(٤) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي : ١/ ٢٤٢ والإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي :١/ ٢٤٤

فهم النص القرآني وفق فهم السلف الصالح رحمهم الله

إنّ إحاطة النص القرآني وشموليته تقتضي على سبيل الأمر البدهي أن يكون هذا النص معيارا ومقياسا يحدّد بإزائه وفي ضوئه كل ما يمت إلى الإسلام شريعة أو عقيدة بصلة ، فما وافقه أُخذ به ، لأنّه وحده الحق والكلمة الناطقة بخطاب اللّه تعالى والمعبرة عن قوانين الوجود قال تعالى : { وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ } [فاطر: ٣١] ولا جرم أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى ، الذي نزله على رسوله خاتم المرسلين محمد ﷺ بشمولية تامة، لم يغادر فيها صغيرة ولا كبيرة من متطلبات الدارين إلا أحصاها. فأكمل الله بهذا الكتاب المجيد الدين القيم قال تعالى : {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }[المائدة : ٣] وبذلك ختمت النبوات، ليكون هذا القرآن منهجاً حركيا مستمراً، عاما، شاملا للإنسانية كلها في كل زمان ومكان .

وجاء الصحابة رضي الله عنهم وتأسوا برسول الله ﷺ وحملوا هذا الدين وعلموه لمن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم وهكذا سار السلف الصالح رضي الله عنهم يضعوا نصب أعينهم الأصلين الشرعيين في مقياس كل شيء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد فهم السلف الصالح هذه النصوص على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ فليس لهذه النصوص أفهام جديدة ، لهذا أقول : يجب أن تُفهم النصوص الشرعية على وفق ما فهمه السلف الأول، ومن الصعب عقلا وشرعا وحِسًّا أن نفهم من الآية، أو الحديث فهما جديدًا لم يفهمه السلف الصالح، كيف يكون هذا والله ﷻ أثنى عليهم فقال: { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ} [التوبة : ١٠٠] وأثنى عليهم النبيﷺ

بقوله: « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »[1] ولما أخبر ﷺ أن هذه الأمة ستفترق، وسأله الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- عن الفرقة الناجية فقال: « مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي »[2] فقرن النجاة بما كان عليه هو وأصحابه، فكيف يقول عاقل إنه يمكن أن يفهم من النص فهمًا جديدًا لم يفهمه السلف الصالح، من نزل عليهم القرآن، ونزل القرآن بلغتهم، وعرفوا أسباب النزول، بل نزل القرآن ليحدد مسارهم ويصحح أفعالهم، عاصروا نزوله، وعاملوه عمليًّا ونظريًّا، ولهذا يقول شيخ الإسلام: إن الصحابة -رضي الله عنهم- تلقوا عن النبي ﷺ معاني القرآن، وكان حرصهم على المعنى أكثر من حرصهم على اللفظ، وأدوه إلى التابعين كذلك.[3] لهذا بعض العلماء كان يتحرج أن يقول بقول لم يسبقه إليه أحد.

إن نصوص الكتاب والسنة صالحة لكل زمان ومكان ، ولكل أمة ، ولكل جيل من الناس، ولا يمكن أن يأتي زمان ولا تجد الكتاب ليس فيه حكم للخلق، ، لكن أخطاء الناس وسُوءُ فهمهم وضعف إيمانهم يبعدهم أحيانا عن معرفة الحق والوصول إليه ، فالوحيان فيهما حل لجميع القضايا، إما تصريحا أو تلميحا أو استنباطا أوقياسا قال الله ﷻ { ونَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ } [النحل :

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أصحاب النبي ﷺ بَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ : ٣/٥ حديث رقم (٣٦٥١)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنة باب شرح السنة : ٦/٧ حديث رقم (٤٥٩٧) وأعقبه المحقق شعيب الأرناؤوط بقوله : اسناده حسن ، وكذلك حسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته : ٢ / ٩٤٣ حديث رقم (٥٣٤٣)

(٣) مجموع الفتاوى : ٤٠٤/١٣

٨٩] فهو مبين للحلال والحرام، والحق من الباطل، والهدى من الضلال وفي بيان النبي ﷺ لما جاء في القرآن يقول سبحانه { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل : ٤٤].

السبب في ظهور الأفهام الخاطئة والبدع المتنوعة :

يمكن إرجاع الفهم الخاطئ وظهور البدع المتنوعة إلى قصور النفوس، وقلة العلم، وضعف الإيمان في القلوب هذا كله كان سببا في ظهور البدع والفِرَقِ، فالخوارج فهموا القرآن على غير فهمه، ولم يجمعوا بين آيات الوعد والوعيد، بل خلطوا واشتبه الأمر عليهم، واغتروا بأنفسهم، ولم يرجعوا إلى الصحابة –رضوان الله عليهم– فَضَلُّوا وأضلوا وضلوا عن سواء السبيل، لأنهم ساء فهمهم للقرآن وتطبيقهم له، ولم يفرقوا بين كافر ومسلم، بين عاصٍ من المسلمين وبين مطيع، لم يفرقوا بين آيات الوعد والوعيد، بل نزلوا آيات الوعيد على كل خطأ وإن قل، وتجاهلوا آيات الوعد.

فمن أهل البدع [(١)] من نفى أو أنكر آيات الصفات مطلقا وكَذَّبَ بها وإن تلاها، فإنه يراها آيات لا تدل على شيء إذا قرأ: { الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى } [طه : ٥] لا يؤمن بها ولا يصدق بها، ومنهم من يُأولها، ومنهم من لا

(١) يراجع ذلك في : الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية : ٢ /٦٤٩ وينظر الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير اليمني الشافعي : ١ / ١٣٧

يؤمن بها أصلا، يقرأها ولكن يقول: لا حقائق لها ولا معاني لها، ولا فوائد لها، فمن مشبهٍ ونافٍ، كل أولئك ضلوا عن سواء السبيل.(١)

بدعة إعادة قراءة النص :

تظهر خطورة هذا المنحى الفكري جلية في محاولات لـيِ أعناق النصوص القرآنية والخروج بها عن مفاهيمها الواضحة لتتلاءم مع توجهات فكرية معينة ، خاصة تلك التي ظهرت في بعض الدراسات القرآنية بما يمكن أن نطلق عليه القراءة العصرانية للقرآن .

وقد ظهرت هذه البدعة مؤخرًا –وليست بجديدة–، وهي ما يسمى بإعادة قراءة النص، يرددها بعض المنتسبين للمثقفين، والذين أرادوا أن يغيروا ويبدلوا في شرع الله ﷻ ما معنى إعادة قراءة النص؟ إن كان المقصود به: تنزيل النصوص على ما جَدَّ من الحوادث، فهذا أمر مسلم به، ولا ضرر فيه، ولا يزال العلماء قديمًا وحديثًا كلما جَدَّت حادثة ونزلت نازلة التمسوا لها دليلا في الكتاب والسنة، والتمسوا النظائر والأشباه لها، لكن أصحاب هذه البدعة لا يريدون هذا المعنى، وإنما يريدون أن يُفهم النص فهمًا جديدًا لم يفهمه السلف وأهل العلم قبلهم، ولهذا جَنَوا على نصوص الوحيين، وافتروا على الله وعلى رسوله، لأنهم حَمَّلُوا كلامهما ما لا يحتمل، يقولون: الله ﷻ أراد بهذه الآية كذا، وهذا ليس بصحيح، إذ لو أراد الله ﷻ به هذا المعنى لفهمه السلف، الذين هم أعلم منا ومنهم .

نموذج لمناهج حديثة لبدعة إعادة قراءة النص :

(١) تأثر الخوارج المعاصرين بأصول الخوارج المتقدمين د. فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد : ص ٣٣

قراءة نصر حامد أبو زيد [(١)] :

تعد قراءة نصر حامد أبو زيد من أعمق القراءات وأخطرها على المحيط العربي والإسلامي، فهو صاحب مقدرة عقلية ووعي عميق بالشروط الموضوعية سياسياً وثقافياً واجتماعياً، لنجاح المشروعات الثقافية، فهو يرى أن محاولات

(١) نصر حامد أبو زيد : أكاديمي مصري ، وباحث متخصص في الدراسات الإسلامية ومتخصص في فقه اللغة العربية والعلوم الإنسانية. ولد في ١٠ يوليو ١٩٤٣ م وعندما قدم أبحاثه للحصول على درجة أستاذ تكونت لجنة من أساتذة جامعة القاهرة بينهم د. عبد الصبور شاهين الذي اتهم في تقريره د. نصر " بالكفر "، وحدثت القضية المعروفة التي انتهت بترك نصر الوطن إلى المنفي إلى هولندا ، منذ ١٩٩٥ ، وحكمت إحدى المحاكم المصرية بالتفريق بينه وبين زوجته قسراً، على أساس "أنه لا يجوز للمرأة المسلمة الزواج من غير المسلم ، أثارت كتابات الباحث المصري ضجة إعلامية في منتصف التسعينيات من القرن الماضي. فقد أتُهم بسبب أبحاثه العلمية بالارتداد والإلحاد ، لقد طالب أبوزيد بالتحرر من سلطة النصوص وأولها القرآن الكريم الذي قال عنه : القرآن هو النص الأول والمركزي في الثقافة ، لقد صار القرآن هو نص بألف ولام العهد وقال أيضا: "هو النص المهيمن والمسيطر في الثقافة" وقال : "فالنص نفسه – القرآن – يؤسس ذاته دينًا وتراثًا في الوقت نفسه ، وقال مطالبًا بالتحرر من هيمنة القرآن : " وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفورًا قبل أن يجرفنا الطوفان ، عاد إلى مصر قبل أسبوعين من وفاته بعد إصابته بفيروس غريب فشل الأطباء في تحديد طريقة علاجه، ودخل في غيبوبة استمرت عدة أيام حتى فارق الحياة صباح الاثنين ٥ يوليو ٢٠١٠ م يراجع ذلك في : نصر حامد أبو زيد موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) الموقع الإلكتروني :
https://ar.wikipedia.org/wik

الإصلاحيين تعاملت من الوحي بطريقة برجماتية [1] فشلت في إحداث نقلة نوعية في تجديد فهم الإسلام، وليتم ذلك لا بد من مشروع ينقل الإصلاح إلى داخل النص القرآني حتى يتسنى التعامل مع الوحي كظاهرة تاريخية ومنتج ثقافي، لتصب النُّصوص الإسلاميَّة قرآناً وسُنَّةً من قبل هؤلاء المفكرين الحداثيين – حقلَ تجارب لمختلف المناهج والنَّظريات التي أفرزتها العلومُ الإنسانيةُ المعاصرةُ على وجه الخصوص، إذ " بتتبع واستقراء مختلف كتابات المعاصرين الداعية إلى فهم كتاب الله في ضوء المناهج الحديثة لتحليل الخطاب، بغرض انتزاع القدسية عن الوحي وسلبه مرجعيته المعرفية والتسويق للمنهجية المعرفية الغربية، التي انبهروا بها حتى صاروا دعاة لها، ومن هؤلاء نصر حامد أبو زيد؛ الذي سوق لمشروعه العلماني.[2]

أهم مميزات منهج نصر حامد أبو زيد :

١ ـ تسويق مشروعه العلماني: استطاع نصر حامد أبو زيد تسويق مشروعه الأيديولوجي (العلمانية) من خلال تلك القراءة، ولعل ما يميز نصر حامد أبو زيد – غير مقدرته الفكرية – وعيه العميق بالشروط الموضوعية (سياسياً واجتماعياً وثقافياً) لنجاح المشروعات الثقافية، ولهذا فهو طرح قراءة نقدية

(١) **الطريقة البرجماتية** : تعني استبعاد الإسلام وإقصاؤه عن الحكم والتشريع، وعن التربية والأخلاق وإفساح المجال للنظم والقوانين والقيم الغربية المستمدة من الفلسفة المادية والعلمانية ينظر العولمة د / صالح الرقب : ١ / ٣٢

(٢) إعادة قراءة النص الديني بين أهل التأويل ومناهج المعاصرين د/ محمد الأمين بله الأمين الحاج ـ مجلة فتوحات جامعة الجزيرة ــ السودان العدد الثاني ص : ٧٩ سنة٢٠١٥ م

لمشروعات التنوير منذ عصر النهضة الحديثة مرورا بطه حسين وانتهاء بزكي نجيب محمود، فيرى أن إصلاحيي النهضة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أخفقوا في إحداث نقلة نوعية في تجديد فهم الإسلام، ويعزو ذلك لعدم مقدرتهم على تجاوز الرؤى السائدة وسط أغلب المسلمين، بأن القرآن يجب أن يطبق في كل الأماكن والأزمنة، وفي سبيل التوفيق بين نصوص القرآن والمعضلات الفكرية التي طرحتها الحضارة الغربية آثر أغلب الإصلاحيين –من وجهة نظره– التعامل مع القرآن بطريقة برجماتية ؛ فهم يستحضرون فقط الآيات التي تلائم مقاصدهم، ويتجاهلون تلك التي لا تتلاءم مع هذه المقاصد، ويرى أن هذا التوجه قد هيمن على أغلب التيار الإصلاحي الإسلامي إلى الآن، ومن هنا فهو ينادى بمشروع ينقل الإصلاح الديني إلى داخل (النص القرآني نفسه) .

٢ ـ قوله القرآن ظاهرة تاريخية : يعني النظر إلى النصوص الثقافية على أنها إنتاج ثقافي محكوم بالحقل الاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمع وفق ظروفه التاريخية والجغرافية. وذلك أن هذا المنهج الذي يطرحه أبو زيد لقراءة النص الديني يؤدي – من وجهة نظري – إلى أمرين، أحدهما نزع القداسة عنه وتحويله من نص ديني مقدس له خصوصيته إلى نص قابل للنقد، والأمر الثاني: نزع ثبوت الدلالة عن النص نهائياً، وتحويله إلى نص متغير الدلالة حسب الظروف التاريخية للقارئ. وإذا كنا نتفق معه أن ثمة نصوصاً متغيرة الدلالة، فإن الحكم على جميع النصوص الدينية بأنها متغيرة الدلالة تحيل في محصلتها النهائية إلى نسخ الدين مع تعدد القراءات وتغير الوقائع التاريخية،

والدين – بصفته ديناً– لا ينفك عن صفة الثبات في أصوله، وفي كثير من تعاليمه وأحكامه(١) .

٣ ـ انتزاع القداسة من النص القرآني : فهو لا يفرق بين النص البشري والنص القرآني، فهما عنده متساويان من حيث قوانين التكون والبناء وإنتاج الدلالة (النص القرآني يستمد مرجعيته من اللغة... وإذا انتقلنا إلى الثقافة قلنا إن هذا النص منتج ثقافي(٢)باعتباره محكوماً بالقوانين الداخلية البنيوية والدلالية للثقافة التي ينتمي إليها، وإذ قرر أن القرآن في محصلته النهائية منتج ثقافي مفارق لمصدره الإلهي، فهو يخضع – شأنه شأن أي نص ثقافي – للمناهج الحديثة في قراءة النصوص ، وذلك لأن النصوص القرآنية دلالتها لا تنفك عن النظام اللغوي الثقافي الذي تعد جزءًا منه يجعل من اللغة ومحيطها الثقافي مرجع التفسير والتأويل وهو بذلك ينتزع القداسة من النص القرآني، ويجعله مثله مثل النصوص البشرية الأخرى(٣) .

يتبين من خلال قراءة النص القرآني لدى نصر حامد أبو زيد خوضه في تأويلات بعيدة كل البعد عن مقاصد القرآن الكريم واستعمالات اللغة العربية ومدلولاتها ، وقد ظهر في تأويلاته وغيره ممن اتبعوا هذه البدعة الكثير من الانحراف والزيغ والتأويل الفاسد والخروج عن كل ما تعارفت عليه جماهير

---

(١) ينظر تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين لجمال البنا : ص ٧٨٧ وما بعدها ، والنص والسلطة والحقيقة لنصر حامد أبو زيد :ص ٨٧٧ وما بعدها .

(٢) الفكر الإسلامي قراءة علمية لمحمد أركون : ص ٨٨٧ .

(٣) المرجع السابق: ص ٧٧ ، ٧٨

العلماء والمفسرين وأهل اللغة .. كل ذلك تحت دعوى ضرورة القراءة الجديدة للقرآن [1] .

إن من ضوابط فهم النص القرآني أن تفهمه على ظاهره ، كما فهمه سلف الأمة ،وإن كان في الأحاديث النبوية ما يفسر الآيات فهو أولى من غيره، ثم تفسير الصحابة، والتابعين، وتابعيهم بإحسان، هؤلاء أقرب الناس لفهم القرآن، فالصحابة شهدوا التنزيل وحضروه، والتابعون شهدوا قوما شهدوا التنزيل، وهكذا من بعدهم، فهؤلاء توارثوا العلم وأخذوه على الحقيقة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: { إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا } [النساء: ١٠٥] ، وقال تعالى: { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا

---

(١) ينظر على سبيل المثال ما كتبه حسن حنفي قراءة النص مجلة ألف باء العراقية العدد الثامن ملف الهرمينوطيقيا والتأويل ص ١٧، ١٨وينظر كذلك : محمد شحرور مرجع سابق ص ٥٨٠ يقول الكاتب في هذا السياق : إن التشريع الإسلامي تشريع مدني إنساني حنيفي متطور يتناسب مع رغبات الناس ودرجات تطورهم التاريخي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ويقر بأعرف الناس ... ص ٥٨٠ وينظر للدكتور حسن حنفي : التراث والتجديد .. موقفنا من التراث القديم ص ٣٣ وما بعدها

نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: ٤٤] وقال تعالى:{ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [النحل:٦٤] (١) .

إن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يفهمهما المسلم على حسب ما فهم السلف الصالح، أما من يفهمهما بتحريفهما وإلغاء دلالتهما أو بإعادة قراءة النص أو تجدد الخطاب الإسلامي، فمقصدهم بهذا ضلال ، وهو من الأخطاء، والمغالطات، وسوء الفهم .

أقول في النهاية : إن فهم النصوص القرآنية فهما سليما وفق الضوابط التي وضعها العلماء ، يبعد صاحبه عن التشدد والتطرف ، ويقضي على الأفكار التكفيرية والإرهابية التي غزت العالم كله في العقد الأخير .

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية : ص ٣٩، ٤٠

المبحث الثالث
مراعاة أحوال المخاطبين في فهم النص القرآني

توطئة :

اتسمت الشريعة الإسلامية الخالدة بجملة من السمات والخصائص النابعة من طبيعة مصدرها، فكانت في خطابها ومراعاة أحوال المخاطبين في رسالتها تتسم بالواقعية والشمولية والإنسانية والعالمية ، وتتميز في أحكامها ومقاصدها بالوسطية والتيسير ورفع الحرج والمشقة عن المكلفين ، ومقصدنا في هذا المقام أن نذكر مراعاة أحوال المخاطبين من خلال خطاب القرآن الكريم ، ببيان طبيعة النفس البشرية وأدلة مراعاة أحوال المخاطبين فيهما .

القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على رسولنا محمد ﷺ بلسان عربي مبين بواسطة جبريل عليه السلام منقولا إلينا بالتواتر ما بين دفتي المصحف من الفاتحة إلى سورة الناس ، وهو كتاب نور وهدى وشفاء لما في الصدور وذكرى للمتقين فيه ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وإعذار وإنذار وأمر ونهي وتسلية وقصص وموعظة وبلاغة في الخطاب بما يناسب أحوال البشر وطبيعة الإنسان .

والله تعالى جل ذكره حينما يخاطب الناس إنما يخاطب فيهم طبيعتهم الآدمية والإنسانية ، ويذكر من حكمة الشرعي فيهم ما يستقيم مع أمره القدري الذي لا يتبدل ولا يتغير وفق ما تقتضيه الحكمة الإلهية من تناسب الأحكام

الشرعية مع الفطرة الإنسانية ، والإنسان في القرآن الكريم مخلوق ضعيف يحتاج إلى تزكية نفسه وتخليصها من النقائص التي تحجب عنه إبصار الحقائق في الأنفس والآفاق وتجعله جاهلا بحقيقة المسؤولية التي تعهد ربه القيام بها أحسن قيام مما يتعلق بالتعبد والاستخلاف .

ومما ورد في القرآن الكريم من خصائص الطبيعة البشرية : قوله تعالى: { وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا } [النساء : ٢٨] وقوله سبحانه : { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ} [يونس : ١٢] وقوله عز من قائل : { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} [النحل : ٤] وقوله: {أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ } [يس : ٧٧] و قوله : { إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ } [العاديات : ٦] وغير ذلك من الآيات ، ولما كان الإنسان على هذه الصفات والخصائص الدالة على ضعفه وقلة صبره وافتقاره إلى خالقه في جميع الأحوال ناسب أن نقول بأن الباري جلت حكمته لما فتح باب التوبة للعباد ، ورفع عنهم الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، ووضع عنهم ما لا طاقة لهم به من أحكام التكليف كان كل هذا وما شاكله من باب مراعاة أحوال البشر وما تقتضيه طبيعة الفطرة الإنسانية ، ويؤكد مسألة مراعاة أحوال المخاطبين في القرآن الكريم أمور منها :

أولا : لغة التنزيل : فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين على ما هو معهود من لسان العرب وجار في خطابها ، فيذكر العام ويراد به الخاص ، والمعنى من التلميح أو التلويح أو الإشارة أو التنبيه أو التصريح بما يفيد الشمول

والاستغراق ، أو الإرسال والإطلاق ، ويورد الكلام المطابق لمقتضى الحال على نحو من الإيجاز الذي يدعو إليه موطن الخطاب في إبانة وإيضاح . والإطناب الذي يبرز الفائدة في زيادة اللفظ على المعنى وفق ما يقتضيه القول وتدعو إليه حال المخاطب [١] .

ويتحصل فهم المقصود من مراعاة أحوال المخاطبين في القرآن الكريم من جهة اللغة وخصائص الأسلوب بضرب بعض الأمثلة من ذلك : قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} [النحل : ٩٠] ففي الآية إيجاز جامع : وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة ، فإن العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط المومئ به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية ،والإحسان هو الإخلاص في واجبات العبودية لتفسيره في الحديث بقوله " أن تعبد الله كأنك تراه " [٢] أي تعبده مخلصًا في نيتك وواقفًا في الخضوع آخذا أهبة الحذر إلى ما لا يحصى ﴿ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ هو الزيادة على الواجب من النوافل هذا في الأوامر وأما النواهي فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية وبالمنكر إلى الإفراط الحاصل من آثار الغضبية أو كل محرم شرعًا وبالبغي إلى

(١) الإيضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر ، المعروف بالخطيب القزويني : ٥٢/١

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ : ١٩/١حديث رقم (٥٠)

الاستعلاء الفائض عن الوهمية ، ولهذا قال ابن مسعود: ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية [(١)].

ثانيا : نزول القرآن منجما : من خصائص القرآن الكريم الدالة على مراعاة أحوال المخاطبين وتناسب الخطاب مع حاجتهم : نزوله منجما : فلقد كان من خاصية القرآن الكريم التي تميز بها عن سائر الرسالات السماوية السابقة نزوله مفرقا على الرسول ﷺ حسب الحوادث والسؤالات أو ابتداء على فترة مرحلة الدعوة وبناء الدولة وختام مهمة النبوة بإتمام البلاغ والبيان للناس . ونزوله في الليلة المباركة من ليلة القدر، كان إلى بيت العزة من السماء الدنيا وبعدها كان نزوله على الرسول ﷺ نجوما وهذا ما لم يستسغه الكفار والمشركون قال تعالىً : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً } [الفرقان : ٣٢] أي كما أنزلت التوراة والإنجيل .غافلين الحكمة من طبيعة رسالة القرآن والتي من جملتها مراعاة أحوال المخاطبين وتعهد المكلفين بما ينفعهم في معاشهم ومعادهم ، قال أبو شامة[(٢)]: "فإن قيل: ما السر في نزوله مُنَجَّمًا ؟ وهَلَّا أُنزل كسائر الكتب جملة؟ قلنا: هذا سؤال قد تولى الله جوابه، فقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً}.. يعنون: كما أُنزل على من

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي : ١٤٦/٢ ، ١٤٧

(٢) أبو شامة : هو عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، مؤرخ، محدث، باحث. أصله من القدس، ومولده في دمشق، وبها منشأه ووفاته الفقيه الشافعي، له "الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز" و"شرح على الشاطبية " المشهورة في القراءات، ولقب أبا شامة، لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر توفي سنة ٦٦٥ هجرية ينظر الأعلام لخير الدين الزركلي : ٣ / ٢٩٩

قبله من الرسل، فأجابهم تعالى بقوله: {كَذَلِكَ} أي أنزلناه مفرَّقًا {لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ} أي لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب، وأشد عناية بالمرسَل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول المَلَك إليه، وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه جبريل" [(١)] .

ثالثا : مراعاة التدرج في تقرير الأحكام : ويدل على هذا حديث عائشة رضي الله عنها : " إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: { بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ } [القمر: ٤٦] وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ " [(٢)]وفي حديث عائشة رضي الله عنها شاهد على قيام أحكام القرآن على التدرج ومراعاة أحوال المخاطبين .

رابعا : مراعاة المألوف المعهود المقبول من الأخلاق الجارية بين الناس : وفي هذا يقول الشاطبي رحمه الله تعالى : " وأما ما يرجع إلى الاتصاف بمكارم

(١) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع بن خليل القطان : ١/١٠٥ ـ ١٠٧ ويراجع كذلك الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ١ / ١٤٨

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ بَابُ تَأْلِيفِ القُرْآنِ : ٦/١٨٥ حديث رقم (٤٩٩٣)

الأخلاق وما ينضاف إليها فهو أول ما خوطبوا به وأكثر ما تجد ذلك في السور المكية من حيث كان آنس لهم وأجرى على ما يتمدح به عندهم كقوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى.... } [النحل : ٩٠] وقوله تعالى { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الأنعام: ١٥١] إلى انقضاء تلك الخصال وقوله { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } [الأعراف : ٣٢] (١)

خامسا : تأسيس مقصد الإذعان للشرع والخضوع له بمراعاة حاجة النفس إلى الترغيب والترهيب ، بحسب مقتضى الحال فيذكر أهل الجنة ترجية ويذكر أهل النار تخويفاً وترد الترجية أيضا ويتسع مجالها وذلك في مواطن القنوط ومظنته كما في قوله تعالى :{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر : ٥٣] فإن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا فأتوا محمدا ﷺ فقالوا إن الذي تقول وتدعوا إليه لحسن لو تخبرنا ألنا لما عملنا كفارة فنزلت (٢) فهذا موطن خوف يخاف منه القنوط فجيء فيه بالترجية غالبة ومثل ذلك الآية الأخرى { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ } (٣)[هود : ١١٤] وانظر في سببها (٤) ولما كان جانب

(١) الموافقات للإمام الشاطبي : ٧٦/٢

(٢) أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري : ص٣٦٩

(٣) المرجع السابق : ص ٢٦٥

(٤) الموافقات ٣٢٤/٣

الإخلال من العباد أغلب كان جانب التخويف أغلب وذلك في مظانه الخاصة لا على الإطلاق فإنه إذا لم يكن هنالك مظنة هذا ولا هذا أتى الأمر معتدلاً [١] .

ساسا : مراعاة أسماع البشر وما تسترعيه النفوس من حسن الإيقاع الصوتي : فنجد الكتاب الحكيم في كلماته وألفاظه لا يسرف على النفس ولا يستفرغ مجهودها ، بل هو مقتصد في كل أنواع التأثير عليها ، فلا تضيق به ولا تنفر منه ولا يتخونها الملال . ولا تزال تبتغي أكثر من حاجتها في التروح والإصغاء إليه والتصرف معه ، والانقياد له ، وهو يسوغها من لذتها ويرفه عليها بأساليبه وطرقه في النظم و البيان [٢] .

ولقد كان من وقع القرآن الكريم على السمع دليل صدق الذين قالوا في حقه : إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمرٌ [٣] وما كان لهم أن يشهدوا بهذا لولا أنه كان بشيء راعهم من مواقع حركاته، ومن ترتيب بينها وبين سكناته، أو لفواصل في أواخر آياته [٤] .

---

(١) المرجع السابق : ٣/٣٢٥

(٢) تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي : ٢/١٤٨

(٣) هذا من كلام الوليد بن المغيرة يراجع ذلك في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأبي العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المصري : ١٠ / ٢٩٩ وينظر مباحث في إعجاز القرآن د مصطفى مسلم : ١/٤٥

(٤) دلائل الإعجاز في علم المعاني عبد القاهر الجرجاني ص : ٢٥٣

وغاية ما يقال عن مسألة مراعاة أحوال المخاطبين في القرآن الكريم ما ذكره الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني: ولأنه سبحانه هو الذي انتهت إليه الإحاطة بجميع أحوال الخلق وحده ولأنه عز سلطانه هو القادر وحده على تضمين كلامه كل المناسبات التي اقتضتها تلك الأحوال الكثيرة التي لم يحط ولن يحيط بها سواه ومن الذي يستطيع أن يحيط بكل أحوال الخلق وفيها الخفي الذي لا يعلمه إلا من يعلم السر وأخفي ثم من ذا الذي يستطيع أن يحيط بكل أحوال الخلق وهم أجيال متعددة منهم من لم يخلقوا وقت نزول القرآن ومنهم من لم يعرفوا لنا إلى الآن بعد بضعة عشر قرنا من نزول هذا القرآن وأنت خبير بأن القرآن هو كتاب الساعة الذي يخاطب الأجيال كافة حتى يرث الله الأرض ومن عليها (١) .

كذلك انتهج النبي ﷺ هذا المنهج وهو مراعاة أحوال المخاطبين فكان يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم يقول الإمام الشوكاني : " وقد اختلفت الأحاديث المشتملة على بيان فاضل الأعمال من مفضولها وتارة تجعل الأفضل الجهاد وتارة الإيمان وتارة الصلاة ذلك وأحق ما قيل في الجمع بينها أن بيان الفضيلة يختلف باختلاف المخاطب فإذا كان المخاطب ممن له تأثير في القتال وقوة على مقارعة الأبطال قيل له أفضل

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني : ٢/ ٣٠٨

الأعمال الجهاد وإذا كان كثير المال قيل له أفضل الأعمال الصدقة ثم كذلك يكون الاختلاف على حسب اختلاف المخاطبين " [١] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "إِنَّ الْمَسَائِلَ الْخَبَرِيَّةَ الْعِلْمِيَّةَ قَدْ تَكُونُ وَاجِبَةَ الِاعْتِقَادِ، وَقَدْ تَجِبُ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ، وَعَلَى قَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ، وَقَدْ تَكُونُ مُسْتَحَبَّةً غَيْرَ وَاجِبَةٍ، وَقَدْ تُسْتَحَبُّ لِطَائِفَةٍ أَوْ فِي حَالٍ كَالْأَعْمَالِ سَوَاءً، وَقَدْ تَكُونُ مَعْرِفَتُهَا مُضِرَّةً لِبَعْضِ النَّاسِ فَلَا يَجُوزُ تَعْرِيفُهُ بِهَا، كَمَا قَالَ عَلِيٌّ ﷺ : "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ وَدَعُوا مَا يُنْكِرُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" [٢] **وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ : "مَا مِنْ رَجُلٍ يُحَدِّثُ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِمْ"**[٣] **. وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ } [الطلاق : ١٢] الْآيَةَ فَقَالَ: مَا يُؤَمِّنُك أَنِّي لَوْ أَخْبَرْتُك بِتَفْسِيرِهَا لَكَفَرْت ؟ وَكُفْرُك تَكْذِيبُك بِهَا** [٤] **. وَقَالَ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ قَوْله تَعَالَى: { تَعْرُجُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } [المعارج :٤] هُوَ يَوْمٌ أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ. وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ عَنْ السَّلَفِ"** [٥] **.**

---

(١) نيل الأوطار للإمام الشوكاني : ٦/٥

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله بن محمد الغنيمان : ٢ / ٦٨

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري : ٢٣ / ٤٦٩

(٥) مجموع الفتاوى : ٥٦/٦

ويقول الإمام الشاطبي –رحمه الله– "إِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَا يُعْلَمُ مِمَّا هُوَ حَقٌّ يُطْلَبُ نَشْرُهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ، وَمِمَّا يُفِيدُ عِلْمًا بِالْأَحْكَامِ، بَلْ ذَلِكَ يَنْقَسِمُ، فَمِنْهُ مَا هُوَ مَطْلُوبُ النَّشْرِ، وَهُوَ غَالِبُ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ، وَمِنْهُ مَا لَا يُطْلَبُ نَشْرُهُ بِإِطْلَاقٍ، أَوْ لَا يُطْلَبُ نَشْرُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَالٍ أَوْ وَقْتٍ أَوْ شَخْصٍ" [(١)] فإذا كان هذا النص مما لا تحتمله عقول المخاطبين، وليس تحته عمل، ولا فيه حَدٌّ من حدود الشريعة فيمكن كتمانه مراعاة لأحوال المخاطبين .

الخاتمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، تبصرة وذكرى لأولى الألباب ، وجعل الحمد فاتحة أسراره ، وخاتمة تصاريفه وأقداره. ونصلى ونسلم على أكرم

(١) الموافقات للإمام الشاطبي : ١٦٨/٥

خلقه ، وخاتم رسله محمد ﷺ الذى أرسله الله بالقرآن ، فدعا إلى الله به على بصيرة ، فكان سبباً في هداية الناس إلى الطريق المستقيم ، والمنهج القويم.{ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [الأنعام : ١١٥] .

أما بعد ،، فالقرآن الكريم ، كتاب الله الخالد ، ومعجزة رسوله محمد ﷺ ، التي لا تفنى إلى الأبد. وهو كتاب منتظم الآيات ، متعاضد الكلمات ، لا نفور فيه ولا تعارض ، ولا تضاد ولا تناقض ، صدق كلها أخباره ، عدل كلها أحكامه ، وصدق الله إذا يقول: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } [النساء : ٨٢] .

وضع أهل العلم بعض القواعد والضوابط لفهم النص القرآني وهي كثيرة ومتعددة كما ذكرنا في ثنايا البحث وقد كان التركيز على [التأكد من ثبوت النص ، وفهمه وفق فهم السلف الصالح –رحمهم الله– مع مراعاة أحوال المخاطبين في فهمه] نظرا لما انتشر في الآونة الأخيرة من سوء فهم النصوص الشرعية مما أدى إلى شطحات بعضهم في فهمها ، ويمكن الوقوف على أهم نتائج البحث وتوصياته فيما يأتي :

أولا : نتائج البحث :

١ ـ يسهم البحث في بيان بعض ضوابط فهم النص القرآني ، ودورها في معالجة القضايا المعاصرة .

٢ ـ بين البحث أن فهم النصوص القرآنية فهما سليما وفق الضوابط التي وضعها العلماء ، يبعد صاحبه عن التشدد والتطرف ، ويقضي على الأفكار التكفيرية والإرهابية التي غزت العالم كله في العقد الأخير .

٣ ـ اتفق العلماء على قطعية التطابق بين النص القرآني المتداول والوحي الذي نزل على الرسول ﷺ ، وقد ثبت صحة ما في أيدينا من نسخ القرآن الكريم بأدلة كثيرة متوافرة .

٤ ـ يمكن إرجاع الفهم الخاطئ وظهور البدع والفِرَقِ المتنوعة إلى قصور النفوس، وقلة العلم، وضعف الإيمان في القلوب ، فيجب فهم النص القرآني على ظاهره ، كما فهمه سلف الأمة .

٦ ـ عرف النص القرآني برعايته لأحوال المخاطبين في رسالته فاتسم بالواقعية والشمولية والإنسانية والعالمية ، وتميز في أحكامه ومقاصده بالوسطية والتيسير ورفع الحرج والمشقة عن متبعيه .

ثانيا : التوصيات :

١ ـ الاهتمام بكتاب الله تعالى ، قراءة وتمعنا وتدبرا ، وتدريب الناس على ذلك ، للإفادة من نصوصه وفهمها الفهم الصحيح .

٢ ـ التأكد في كل المناسبات أن للنص القرآني ضوابط وأصول يجب مراعاتها وإتقان معرفتها وخاصة في المؤتمرات والندوات والصحف والمجلات ، ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة .

٣ ـ تدريس النص القرآني والدعوة إلى جعله منهجا دراسيا في المدارس والجامعات وما بعد ذلك في سنوات الدراسات العليا .

٤ ـ تنظيم برامج تلفزيونية ـ علمية ونقاشية ووثائقية ـ تهدف لنشر أهمية الضوابط الشرعية لفهم النصوص القرآنية .

٥ ـ تجنيد وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية من أجل التركيز على قراءة التراث الإسلامي بين ضوابط الفهم وشطحات الوهم .

هذا وقد بذلت غاية جهدي في تغطية جوانب البحث ولا أدعي الكمال ، ولعل القارئ يقف على بعض القصور في الموضوع وهذا أمر طبيعي في البشر ، وذلك وما كان في البحث من صواب فمن الله وحده ، وما كان فيه من خطأ أو تقصير فمن نفسي ومن الشيطان ، وأخيرا أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يلهمنا الصواب في القول والعمل والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم جل من أنزله .

٢. الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .

٣ . الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت : ١٣٩٦هـ) ط دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشرة ٢٠٠٢ م.

٤ . الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت : ٥٥٨هـ) تحقيق : سعود بن عبد العزيز الخلف ط : أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

٥ . الإيضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بالخطيب القزويني (ت: ٧٣٩هـ) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ط دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة.

٦ . البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) ط دار إحياء الكتب العربية تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .

٧ . إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأبي العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المصري، (ت : ٩٢٣هـ) ط : المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة سنة ١٣٢٣ هـ .

٨ . أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري (ت: ٤٦٨ هـ) تحقيق عصام بن عبدالمحسن الحميدان ط دار الاعتصام . الدمام الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .

٩ . تأثر الخوارج المعاصرين بأصول الخوارج المتقدمين د. فهد بن سليمان بن إبراهيم الفهيد : قسم الدعوة . كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة النشر ١٤٣٠هـ.

١٠ . تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ) ط دار الكتاب العربي .

١١ . التبيان في علوم القرآن للشيخ محمد علي الصابوني (ت: ٢٠١٥م) ط مكتبة البشرى . باكستان الطبعة الأخيرة سنة ١٤٣٢هـ ٢٠١١م .

١٢ . التراث والتجديد .. لحسن حنفي : مكتبة الأنجلو المصرية . مصر ط ٣ سنة ١٩٨٧ .

١٣ . التعريفات للإمام علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) ط مكتبة لبنان ـ بيروت سنة ١٩٨٥م .

١٤ . جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) تحقيق : أحمد محمد شاكر ط : مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٥ . الرسالة لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) تحقيق : أحمد شاكر ط مكتبه الحلبي، مصر الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م .

١٦. تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين لجمال البنا (ت: ٢٠١٣م) ط مكتبة كتب عربية ط الأولى سنة ٢٠٠٢ م .

١٧. دلائل الإعجاز لأبي بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني (ت : ٤٧١ هـ) تحقيق : د. محمد التنجي ط دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ .

١٨. سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت : ٢٧٥هـ) تحقيق : شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي ط دار الرسالة العالمية الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

١٩. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لمحمد بن حبان التميمي الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) تحقيق الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء ط الكتب الثقافية – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٧ هـ .

٢٠ . شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله بن محمد الغنيمان : ١ / ٣٨٠ ط مكتبة الدار، المدينة المنور ، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ.

٢١ . شرح الورقات في أصول الفقه لجلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي (ت : ٨٦٤هـ) تحقيق د حسام الدين بن موسى ط جامعة القدس، فلسطين ط الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م .

٢٢. صحيح الإمام البخاري المسمى :الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري (ت

٢٥٦ هـ) تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ط دار طوق النجاة الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ .

٢٣ . صحيح الإمام مسلم المسمى: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت : ٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٤ . صحيح الجامع الصغير وزياداته لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ط المكتب الإسلامي .

٢٥ . الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية : تحقيق أحمد عطية الغامدي ط مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . المملكة العربية السعودية .

٢٦. الضوء المنير على التفسير لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية (ت٦٩١هـ) . تحقيق علي محمد الصالحي ط مؤسسة النور عنيزة ط الأولى سنة ٢٠٠٨ م .

٢٧ . العولمة د / صالح الرقب : ١ / ٣٢ كلية أصول الدين- الجامعة الإسلامية فلسطين- قطاع غزة ط الثانية سنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م .

٢٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(ت٨٥٢ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب ط دار المعرفة – بيروت سنة ١٣٧٩هـ .

٢٩. الفكر الإسلامي قراءة علمية لمحمد أركون ط مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي ط الثانية سنة ١٩٩٦ م .

٣٠ . قراءة في ضوابط التأويل وأبعادها المنهجية في الدراسات القرآنية المعاصرة د/ رقية طه جابر العلواني بحث ألقي في ندوة دراسة التطورات الحديثة في الدراسات القرآنية المعاصرة ـ بيروت سنة ٢٠٠٦ م .

٣١ . القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير لعبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف ط عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط الأولى سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .

٣٢. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور(ت٧١١ هـ) تحقيق عبد الله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ط دار المعارف ـ القاهرة .

٣٣. مباحث في إعجاز القرآن د مصطفى مسلم ط دار القلم – دمشق الطبعة الثالثة١٤٢٦ هـ سنة – ٢٠٠٥ م .

٣٤ . مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ) ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

٣٥ . مجموع الفتاوى لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت : ٧٢٨هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

٣٦. المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ) ط مكتبه السنة القاهرة الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

٣٧. المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى و أحمد الزيات و حامد عبد القادر . محمد النجار تحقيق مجمع اللغة العربية ط دار الدعوة .

٣٨. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١ هـ) ط الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩هـ .

٣٩. مقدمة في أصول التفسير لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت : ٧٢٨هـ) ط دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م .

٤٠ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني : (ت ١٣٦٧هـ) ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة الطبعة الثالثة.

٤١ ـ الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي(ت : ٧٩٠ هـ) : ١٦٨/٥ ط دار ابن القيم- دار بن عفان ط الأولى سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

٤٢ ـ موقف ابن القيم من الجهمية والمعتزلة والشاعرة والصوفية د عواد عبدالله محمد المعتق ط مطابع الفرزدق التجارية ـ الرياض سنة ١٤٠٨ هـ.

٤٣ ـ النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية أ د. محمد عمارة ط دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٤ ـ النص والسلطة والحقيقة لنصر حامد أبو زيد ط المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ الدار البيضاء ط الأولى سنة ١٩٩٥ م .

٤٥ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي ط المكتبة العلمية – بيروت سنة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

مجلات علمية ومواقع إلكترونية

٤٦ ـ مجلة ألف باء العراقية العدد الثامن ـ العراق سنة ١٩٦٨ م.

٤٧ . مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية العدد الحادي عشر سنة النشر ٢٠١١م.

٤٨ . مجلة فتوحات جامعة الجزيرة/ السودان العدد الثاني سنة ٢٠١٥ م.

٤٩ . الضوابط الشرعية لفهم نصوص الكتاب والسنة لفضيلة الشيخ الدكتور: حمد بن عبدالمحسن التويجري الموقع الإلكتروني : https://www.assakina.com/mohadrat/16371.html

٥٠ . ضوابط فهم القرآن أد أحمد عمر سعد الموقع الإلكتروني : https://sunnijurisprudence.wordpress.com/

٥١ . نصر حامد أبو زيد موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) الموقع الإلكتروني : https://ar.wikipedia.org/wik